بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي رفع من أطاعه وعمل لرضاه، وخفض من لم يعتبر وعصاه، ونصب الموازين للجزم بين الفريقين يوم لقاه، والصلاة والسلام على خير خلق الله، أفضل من بالعربية نطق، وأفصح من أبان سنن كلام العرب، محمد النبي الأمي الذي آتاه الله من الفصاحة والبيان ما لم يُؤْتَهُ أحد.

وبعد،،،

لما كان شرف العلم من شرف المعلوم، وكان كتاب الله خير العلوم، كان اهتمامي بالدراسات القرآنية في مرحلتي التخصيص، فكان الماجستير مع المنتخب الهمذاني وكتابه الفريد في إعراب القرآن المجيد فقمت فيه بدراسة القراءات وتوجيهها النحوي، وأتم الله فضله في الدكتوراه بدراسة تفسير العلامة ابن عاشور «التحرير والتنوير» وكانت الدراسة حول «أثر السياق في توجيه المعنى» وما زالت منن الرحمن تتوالى حتى كانت إجازتي بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ بقراءة وإقراء كتاب الله، فكان من شكر النعمة، وأداء حق المنة أن أعمل على إخراج كتاب يربط بين النحو والقرآن؛ يفاد منه إخواني وأحبتي في الله، ويكون ذخرًا لي عند لقائه جل في علاه، ثم كانت المسألة الملحة من إخواني لسرعة إخراج هذا الكتاب مصادفة لترحيب أخي الدكتور/ بدران العياري الأستاذ بجامعة الأزهر، وصاحب دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر بتبني موضوع الكتاب؛ لحسن ظنه بي، ولما التمسه من فائدة من نماذج منه

قرأها، بالإضافة إلى مباركة أستاذ الدكتور/ سعيد حسن بحيري، أستاذ اللغويات بكلية الألسن جامعة عين شمس، فشرعت في كتابته بعد الاطلاع على كلام الأئمة الأعلام في هذا المجال السابقين واللاحقين والمعاصرين حتى كتب إخواننا المحبين للغة القرآن، وإن كانوا غير جديرين بالتصنيف في هذا المجال؛ فلما اطلعت على تصانيفهم تبين لي صدق عبارة الألوسي -رحمه الله-: «ومفاسد قلة البضاعة لا تحصى»[١] فألفيت أخطاء في الاستشهادات، وأوهامًا في الإعرابات، وفي المقابل وجدت كتب من هم أهل لذلك على ما فيها من غزارة علم، ورجاحة فهم، تفاوتت بين موجز مخل، ومسهب ممل، وموغل معل، ومعقد مكل[٢]، بالإضافة إلى أنه لا يتسنى للكثير الاطلاع عليها فضلًا عن اقتنائها في مكتبته، إما لنفاذها أو ارتفاع ثمنها، فاستخرت الله ودعوته سائلًا التوفيق والسداد، والخير والرشاد، فسبحانه رؤوف بالعباد يوفق من أراد إلى الأعمال، ومن تولى فجزاؤه الاستبدال.

وللقارئ الكريم أن يسأل سؤالين ولي أن أجيب عليهما:

الأول: هل تهدف بكتابك هذا الاقتصار على القرآن الكريم دون غيره لدراسة النحو العربي؟

فأقول: لا يسعني أن أهدف إلى ذلك. وإن قلته فقد قاله إمام نحاة عصره ابن مالك احتجاجًا في مسألة مراتب الإشارة: «لو كانت الإشارة إلى المتوسط

---

(١) روح المعاني (١/ ٥٤٠).

(٢) هذا بالنسبة لمن أراد حد الوسطية في النحو وإلا فهي درر وفرائد لمن يقدرها.

بِكَافٍ لاَ لاَمَ معها، لكان القرآن العزيز غير جامع لوجوه الإشارة، وهذا مردود بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]»[(١)] ولكني أؤكد ما قاله الشيخ عضيمة: «ولست أقول بأن القرآن قد تضمن كل الأحكام النحوية، فالأساليب التي لم يرد نظيرها في القرآن لا يلتفت إليها، ولا يعمل بها، وإنما أقول: ما جاء في القرآن كان حجة قاطعة، وما لم يقع في القرآن نلتمسه من كلام العرب»[(٢)].

وبذلك نعود للمنهج القويم في تعلم اللغة ونعيدها للهدف السامي من دراستها وهو فهم كلام الله -عز وجل- فأنا أهدف إلى شيئين:

أولًا: الجمع بين الحسنيين تعلم اللغة وخدمة كتاب الله فعسانا أن نكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته فنربط بين الغاية والوسيلة كي لا نكرر ما قاله ثعلب وهو إمام من أئمة اللغة: «اشتغل أهل القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فياليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة» فنحن عندما أردنا عزل زيد وعمرو أتينا بأمثلة جافة تارة تعبر عن الثورة وقادتها، وأخرى تعبر عن الحياة المعاصرة زاعمين أن ذلك هو التوضيح والتيسير، ناسين أن القرآن نداء الفطرة

---

(١) شرح التسهيل (١/ ٢٤٣) لابن مالك، ت. د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون، ط/ دار هجر.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم للعلامة محمد عبد الخالق عضيمة، ط/ دار الحديث، (ق١) (١/ ١٧).

الذي لو شغلنا الناس به سعدوا في الدنيا والآخرة، ولست بدعًا في ذلك فرحم الله ابن مالك وابن هشام حين جعلا القرآن ظاهرة في مصنفاتهم وربطا بين اللغة وكتاب الله، فحَلَّتْ عليهما بركة القرآن فزاع صيتهما عن غيرهما من الأعلام، وبإمكانك أن تتأمل عبارة ابن هشام في رده على مَنْ منع ظاهرة وردت في القرآن: «وهذا الجواب ليس بشيء؛ لأن ذلك واقع في كتاب الله، ولو استحضر هذه الآية ابن مالك لم يعدل عنها إلى الاستشهاد بالشعر، ولو استحضرها الزمخشري وابن الحاجب لم يقولا ما قالاه»[(١)]، فأنا أتتبع قواعد النحاة، وأشرحها من خلال كتاب الله، فإن وجدت للقاعدة شاهدًا أشرت، وإن لم أجد عدلت إلى شاهد من كلامهم فكتابي تطبيق لمنهج رسمه لنا الأكابر.

ثانيًا: تلخيص المطولات، وتقريب المعضلات، وتنحية الفلسفات، وبيان الإشكالات التي يترتب عليها عمل لوجودها في كتاب الله الخالد حتى يكون المتخصص على بينة من الأمر فيما يتعلق بكتاب ربه، فلا ينكر شيئًا في التنزيل لعدم معرفته به، وخاصة وهو يُدَرِّس اللغة العربية، فأنا أهدف إلى تكوين جيل من المعلمين يحب القرآن ويحبب أبناءه فيه، ولا يكون ذلك إلا إذا كان فاهمًا للغة القرآن، وكذا غير المتخصص المقبل على كتاب الله يجد بغيته في فهم أساليب القرآن فعندها لا يسأل نفسه لِمَ؟ وكيف؟ أليست القاعدة تقول كذا؟

وخاصة الدعاة الذين تصدوا لإرشاد عباد الله؛ لأنه لا يليق بمن لا يفرق

---

(١) شرح قصيدة بانت سعاد، ت/ محمود حسن أبو ناجي، (ص١١٧).

بين الفاعل والمفعول أن يقول: «قال الله، وقال الرسول» ولكي لا يقع تحت الوعيد: «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[١] فالخطأ في قراءة الحديث وفهمه يأتي من القصور من فهم النحو وصرفه، وعندما ينسب للرسول ﷺ قولًا به خطأ نحوي يكون مفتريًا على رسول الله ﷺ.

وشعاري في ذلك اتباع منهج الوسطية «كلا طرفي قصد الأمور ذميم» فلا أتغافل جهود السابقين ولا أقلل من شأنهم بحجة أنها فلسفة، بل أشير إليها إذا لزم الأمر ليعرف دارس اللغة قدر هؤلاء الأعلام التي لولاهم ما جاز لنا الكلام، ولا أسهب في سرد أقوالهم وحججهم التي لا ينبني عليها عمل في دنيا «استخدامنا للغة» ولا آخرة «فهم كلام الله»، وما ذكرته مما يندرج تحت ذلك من لغات واستخدامات ليست في التنزيل ولا نتكلم بها أشرت إليه إشارة وجيزة من باب العلم بالشيء خير من الجهل به، وليتضح للقارئ ما يجوز القياس عليه من القواعد وما غاية منزلته أن يُحْفَظ ولا يقاس عليه.

الثاني: ما الذي عساك أن تقوله وأنت حديث عهد بدكتوراه؟ ماذا تقدم بعد الوافي والكامل والجامع والأساسي والواضح والمُصَفَّى والخلاصة، وهي لأساتذتك الكرام؟ وبعد الشذور والقطر والمغني والتسهيل والكافية والخلاصة[٢] والهمع والتصريح؟ فالنحو قد قتل بحثًا بما في ذلك النحو القرآني فماذا بعد دراسات الشيخ عضيمة؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧)، ومسلم (٣).

(٢) ألفية ابن مالك وأما الأولى فكتاب لأستاذي العلامة تمام حسان.

قلت: أما أنا فأعلم تمام المعرفة لمن ذكرت قدر علمهم، أما السابقون فماذا عسانا أن نقول وغاية منازلنا أن نفهم أقوالهم، وأما المعاصرون فكتابي هذا ما هو إلا ثمرة من ثمار جهودهم، وجني غرسهم، ولولا أن سنة الحياة تقتضي ذلك ما كتب السابقون ولا الذين جاؤوا من بعدهم، فالكل يسعى لعرض ما عنده، ويعرف للآخر قدره.

مَـاذَا يَقُـولُ المَـرْءُ بَعْـدَ عُـضِيَمَةَ ... فَكِتَابُـــهُ لاَ يَعْتَرِيـــهِ تَتَـــابُعُ
وَأَقُـولُ فَـضْلُ اللهِ فَـضْلٌ وَاسِـعٌ ... فَعَـسَانَا نَـسْعَدُ فِي المَعَـادِ وَنُجْمَـعُ
فَجَمِيعُنَـا خَـدَمٌ لَـوَحْيِ إِلَهِنَـا ... مَـنَّ الإِلَـهُ وَجَـادَ جَـلَّ الوَاسِـعُ
وَالْقَـارِئُ المِنْـصَافُ يُـدْرِكُ أَنَّنِـي ... أُهْدِيـــه سِـــفْرًا بِـــالآلِئ يَلْمَـــعُ
وَاللهُ يَـشْهَدُ أَنِّي لَـسْتُ مُفَـاخِرًا ... فَلِـمَ الفَخَـارُ وَكُلُّنَـا لَـهُ رُكَّـعُ

ولا أجيبك بما قاله ابن مالك: «إذا كانت العلوم منحًا إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين»[(١)] فالعلم فضل، والله ذو الفضل العظيم، وما ذلك على الله بعزيز، ولكني أوقن بهذه الإجابة التي تبلورها عبارة القائل:

إِنْ لَمْ تَكُونُـــوا مِـــثْلَهم فَتَـــشَبَّهُوا ... إِنَّ التَّـــشَبُّهَ بِالرِّجَـــالِ فَـــلاَحُ

وحسبنا محبتهم، ورجاؤنا أن نحشر معهم، فأظن أننا ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]، فعسى الله أن يمن علينا ببشارته ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] ولِمَ لا وقد قال سيد الخلق، وإمام العُرْب ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[(٢)].

---

(١) من مقدمة التسهيل.
(٢) أخرجه البخاري (٥٨١٧)، ومسلم (٢٦٤٠).

فكل ما أرجوه أن يُقْرَأَ الكتاب بعين الحيادية والإنصاف، وألا يبادر قارئه بالتخطئة بما اشتهر على الألسنة وليس لصحته بَيِّنَة، فكما أنه لا يخلو أي كتاب من هفوة، فلا يعدم أيضًا أن يشمل فائدة.

فقد جمعت فيه الآيات الجوامع للقواعد النحوية؛ ليسهل استحضارها، وأردفت كل مبحث بفوائد جلية مستمدة من الخبرات التعليمية، والأسئلة التي طرحها عليّ محبو العربية، وأرشدت الباحثين إلى مواطن الاستفادة من أمهات الكتب، مصادرها ومراجعها.

وبعد ذلك لا أدعي لعملي الكمال، إذ النقص شأن الإنسان، والكمال للواحد الديان، وأبى الله إلا أن تكون العصمة لكتابه، ولكني أستطيع أن ادعي لكتابي التميز؛ بما فيه من الذكر وبركته التي ينتفع به أهل الذكر، أهل القرآن، أهل الله وخاصته مع ما فيه من تجديد في طريقة العرض، فقد عزمت -إن أمد الله في الأجل، وأتم فضله السابق في الأزل- أن يخرج الكتاب في أربعة أسفار.

الأول: الذي بين يديك ويشمل المقدمات النحوية التي يحتاجها طالب العربية قبل دراسة تراكيبها، من معرفة أجزاء الكلام، والإعراب والبناء، والتعريف والتنكير، بالإضافة إلى وحدة الأفعال؛ لأنها جديرة بالاستقلال.

الثاني: يشمل الجملة بنوعيها الاسمية والفعلية، وما يتعلق بهما من أحكام النسخ والتكميل، والمحل وعدمه، وأستوفي فيه المرفوعات والمنصوبات إلا ما تعلق بالأساليب.

الثالث: يشمل الأساليب والأعداد والإضافة والتوابع.

الرابع: أرد فيه إلى النحو أخاه، فأتناول مسائل علم الصرف المتعلقة ببنية الأسماء والأفعال.

فإلى طلاب العربية أقول حيهل، فهاكم كتابًا خيره بارز من عنوانه.

كِتَـــابٌ شَـــارِحٌ نَفْـــسَه وَذِكْـــرُ اللهِ دُسْـــتُورُهْ

فَخُـــذْهُ عَارِفًـــا قَـــدْرَه لِيَـــشْرَحَ صَـــدْرَنَا نُـــورُهْ

فهذه بضاعتي، ولا أقوال مزجاة لما تحويه من كلام الله، فإن لاقت القبول - وذلك المأمول- أكملت وقلت: كم ترك الأول للآخر؟! وإن كان غير ذلك -لا قدر الله ذلك- بحثت عن مشروع علمي آخر ابتغاء الخير في المآل، وقلت: ما ترك الأول للآخر في هذا المجال؟! ولكن علمي أن ذلك محال، بقرينة الواقع والحال.

وختامًا أقول: إن عدمت منك الحمد والشكر، فلا أعدم منك العتب والعذر، وما كان في العمل من سداد، فذلك فضل رب العباد، وما كان فيه من زَلَل فالدين النصيحة أعطونيها لأسدد الخلل، ومن قبل ومن بعد الله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين

د/ إبراهيم إبراهيم سيد أحمد البلِّيزي

القاهرة - ميدان الظاهر

غرة المحرم سنة ١٤٣٠هـ